حماسة البحتري

لمحة ادبيّة للاب لويس شيخو اليسوعي

الحماسة في اللغة الشدّة والباس وفي اصطلاح ارباب الادب مجاميع شعريّة ضمّنوها كثيرًا من منظومات الاقدمين لاسيما التي غلبت عليها المعاني الدالّة على التحمّس والبسالة في الحروب . وكان اوّل من طرق هذا الباب حبيب بن اوس الشاعر الشهير بابي تمّام الطائيّ وضع حماستهُ في عشرة ابواب افتتحها بالشعر الحماسي فكان لمجموعهِ من الرواج ما ضاعف شهرتهُ حتى قيل انّ ابا تمّام في اختيارهِ للشعر اشعر منهُ في نظمهِ لهُ

وذلك ما حدا بغيرهِ من الادباء الى ان يقتفُوا آثارهُ ويجاروهُ في العمل ويضعوا المجاميع الوسمة التي ضمّنوها اجود ما عثروا عليهِ من اشعار الاقدمين مباشرةً باهل الجاهلية ثم المخضرمين ثم المُولّدين. فتعدّدت الحماسات حتى ان الحاج خليفة في كتابهِ «كشف الظنون» عدّد منها بضع عشر وقد اخنى الدهر على بعضها فاخذتها يد الضياع كحماسة الاعلم الشَّنْتَمري (١ المتوفّى في اشبيلية سنة ٤٧٦ هـ (١٠٨٣ م). وحماسة علي بن الحسن المعروف بشُتَيم الحلّيّ (٢ . والحماسة العسكريّة (٣ . وقد نجا بعضها الآخر مع عزّة وجودها في خزائن الكتب كحماسة الخالديّين وهما الاخوان ابو عثمان سعيد وابو بكر محمّد ابنا هاشم اللذان اشتهرا في خدمة سيف الدولة الحمداني صاحب حلب في القسم الآخر من القرن الرابع للهجرة وحماستهما معروفة بالأشباه والنظائر منها نسخة في المكتبة الخديويّة (اطلب قائمتها ج ٤ ص ٢٠٢) . وكالحماسة البصريّة في المكتبة عينها (٤ : ٢٢٩) لصدر الدين عليّ بن ابي الفرج البصريّ الذي قُتل بامر ملك المغول هولاغو سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦١ م) بعد ان خدم مدّةً امير حلب

---

١) ذكرها صاحب خزانة الادب ولبّ لباب لسان العرب عبد القادر البغدادي (ج ١ ص ٥٢٦ وج ٣ ص ١٦٥)

٢) اطلب كشف الظنون (طبعة لندن ج ٣ ص ١١٦)

٣) نفسه (٣ : ١١٦).

الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ابا المظفّر يوسف وحماستهُ تُضاهي حماسة ابي تمّام. وكحماسة ابي الحجّاج يوسف بن الحسَن البيّاسي الذي ولد في بيّاس مدينة في الاندلس ثم رحل الى تونس حيث توفي سنة ٦٥٣ هـ (١٢٥٥ م) وفيها ألّف حماستهُ التي لم يبقَ منها سوى بعض الفصول في احد مخطوطات خزانة غوطا من اعمال المانية (*Mauzug*, Gotha, 13) قال الحاج خليفة (٣: ١١٥) انهُ وضعها في مجلّدين وصنّفها في تونس في شوّال سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٩ م) جمع فيها ما اختارهُ واستحسنهُ من اشعار العرب جاهليّها ومخضرميها واسلاميّها ومولّديها — وكحماسة ابي السعادات هبة الله عليّ الشجري العلوي المتوفّى سنة ٥٤٢ (١١٥٠ م) وعلى ظنّنا انّها الحماسة الموسومة في مخطوطات باريس بالعدد ٦٠٨ تاريخ خطّها سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) كانت في خزانة كتب العلّامة شيفر (Blochet : *Catalogue des Mss. Or. de M^r C. Schefer.* p. 45) واسم المؤلف هناك ضياء الدين هبة الله (ابن) علي بن حمزة العلوي. قال الحاج خليفة (٣: ١١٦) في وصف هذا المجموع «هو كتاب غريب احسنَ فيه. ذكرهُ ابن خلكان»

على انّهُ ليس بين هذه البقايا الشريفة السالمة من تيّار الزمان ما يستحقّ ذكرًا كحماسة ابي عُبادة الوليد بن عُبَيد الشهير بالبحتريّ. فانّهُ اذ رأى ما نالهُ وصفهُ وقرنهُ ابو تمّام من السُمعة الطيّبة بتأليفه للحماسة قصد تجاراتهُ فوضع لوزير الخليفة المتوكّل الفتح بن خاقان حماسةً عارض فيها حماسة حبيب بن اوس. وقد ذكر ابن خلكان حماسة البحتري في تآليف هذا الشاعر في ترجمته. وكذلك ورد ذكرها في كشف الظنون للحاج خليفة في باب الحماسات. الّا انّ ذلك التأليف مع حسنهِ كما سترى كاد يتلف في جملة ما طُمس من آثار الادهار لولا همّة احد المستشرقين الهولنديين ل. ڤرنر (L. Warner) الذي عثر في القرن السابع عشر على نسخة منهُ في الاستانة فابتاعها وارسلها لتودع في خزانة دولتهِ في ليدن حيث تُرى اليوم في جملة مخطوطاتها الثمينة وهي كواسطة تلادتها (de Goeje et Houtsma: *Cat. Cod. Arab.* ed., 2ª, p. 385). وهذه النسخة راقية كما يظهر من ورقها وحبرها وخطّها الى القرن الخامس عشر للميلاد وهي مُتقَنة جدًا حُلّي وجهها الاوّل بالذهب والنقوش وذلك «برسم الخزانة الصمديّة العلويّة الأجلّيّة الفخريّة» كما ورد في مقدّمتها اشارةً الى احد الامراء

المماليك في مصر ممّن لم يحرّح باسمه . وقد كُتبت هذه النسخة بخطّ نسخي جلي مُحكم على ورق صفيق وضُبط قسمٌ منها بالشكل . وهي في ٤٠٠ صفحة وفي كل صفحة ١٥ سطرًا

وقد امتازت هذه الحماسة بعدّة امور . منها وفرة ابوابها فان البحتري جعلها ١٧٤ بابًا ضمّنها معظم المعاني الادبيّة التي دارت على السنة شعراء العرب

ومنها ايضًا عدد الشعراء الذين رُويت عنهم بعض اقوالهم فانهم يبلغون نحو الستمائة اكثرهم من شعراء الجاهليّة والمخضرمين . ولم يذكر الجامع من عهد العبّاسيين سوى نفر قليلين اخصّهم صالح بن عبد القدّوس . وكفى بذلك دليلًا على سعة محفوظات البحتري للشعر القديم

ومنها ايضًا حُسن الاختيار . فانك في هذا المجموع الواسع لا تكاد تجد بيتًا واحدًا يجفُّ الذوق السليم . فان البحتري يلوح في كل شذرة منهُ نقّادًا صحيحًا للشعر بصيرًا بمحاسنه

ويلحق بهذه الصفات مزيّةٌ أخرى يعرف ارباب الادب فضلها نريد بها تحاشي صاحب الاختيار في مجموعه لكلّ معنًى بذيء تنبو عنهُ الاسماع ولكلّ لفظة تمسُّ آداب الشبيبة . ولعلّ هذا المجموع هو الوحيد الذي يخلو من كل مجون . بل لا ترى فيه اثرًا للنسيب والغزل فيصلح لأنْ تتداولهُ احداث المكاتب دون الخطر على آدابهم وان يودي به ارباب المدارس . فانهُ احسن كتاب مدرسيّ يودعونهُ في ايدي الطلبة

هذه بعض صفات البحتري وقد اخذنا العجب انّ المستشرقين لم يكونوا بعدُ نشروا هذا الاثر النفيس وانهم كانوا فماروا لو وقفوا على نسخة ثانية منهُ ليعرضوهُ عليها ويصلحوا ما وقع فيه من الاغلاط

ولمّا كنّا في هولندة سنة ١٨٩٢ اطّلعنا على هذا الكتاب فسبّتنا محاسنه وأسرعنا الى نسخهِ مع قلّة الوقت الذي كنّا نستطيع ان نصرفهُ هناك فأمكنّا ان ننقلهُ بسبعة ايّام فقط . وكنّا قصدنا نشره سابقًا لولا تراكم الاشغال حتى الحّ علينا بعض الاصحاب فاجبنا الى ملتمسهم وباشرنا بطبع هذه الحماسة في العام الماضي سنة ١٩٠٩ في مجموع آثار مكتبنا الشرقي (Mélanges de la Faculté Orientale) فظهر منها اكثر من نصفها ثم انجزنا العمل في هذه السنة وألحقناهُ بفهرس واسع للشعراء المذكورين

في الكتاب على ترتيب حروف المعجم مع ايراد ما قالهُ كل شاعر من الابيات في كل بحر وقافية. ثم عدنا فطبعنا الكتاب على حدةٍ طبعةً مستقلة لافادة الادباء

واذ كنَّا على وشك النجاز ونحن نشتغل في حواشي الكتاب وبيان رواياتهِ وتذييلهِ بالملحوظات اذ بانتنا نسخةٌ منهُ مرسومة بالتصوير الشمسي على اجود منوال وابدع مثال بهمَّة اساتذة ليدن مع فهرسين للاعلام والقوافي على طريقة غير الطريقة التي اتبعناها. وهذه الطبعة متقنة جدًّا مرسومة على ورق مصقول غاية في الصفاقة والحسن فكأنَّ الحاصل عليها يحصل على النسخة الامّ بل اتى الرسم اجود من الاصل لكثرة العناية بهِ وها نحن قد اثبتنا هنا صفحة من هذه النسخة تنويهاً بمحاسنها كما أننا نشكرُ الشكر الجسيم كل من تولَّى هذا العمل وخصوصاً لجنة أدباء ليدن الذين خصُّوا بهذه التحفة قسماً من تركة فقيد الآداب الشرقيَّة دي غوي (Fondation de Goeje) ثم نثني ايضاً على همَّة العالمين صاحبي الفهرسين د. س. مرجليوت (D. S. Margo-liouth) و ر. غاير (R. Geyer) فالحق يقال انَّ هذه الطبعة طُرفة من طرف الدهر فلا نتعجَّب بعد هذا انَّ ملتزمي طبعها جعلوا ثمنها مائتي فرنك. وقد جاءت هذه النسخة في اوفق فرصة لتساعدنا على تأليف ذيل طبعتنا وعلى الاخصّ لاصلاح بعض اغلاط وقعت في نسختنا التي اضطُرنا كما قلنا ضيقُ الوقت الى ان نسرع فيها غاية السرعة وكذلك لعين السبب كنَّا سهونا عن نسخ ابيات قليلة فامكننا اثباتها في الذيل بعد المقابلة مع الاصل

ومما استفدنا ايضاً من هذه الطبعة المرسومة بالتصوير الشمسيّ انَّنا نقَّحنا كثيرًا من الاغلاط الواقعة في النسخة الامّ فانَّ ناسخها مع اتقانهِ لها لم يُحسن ضبط الفاظ منها بل روى بعض اماكن بالغلط فاشرنا الى ذلك في ذيل طبعتنا

وجعلنا هذا الذيل على شكلين شكل منهُ اودعناهُ اصل الحماسة البحتريَّة مع فهارس الاعلام والقوافي واصلاح الاغلاط مع بعض ملحوظات قريبة المنال. وهو الذي نشرناهُ لافادة الشرقيين خصوصاً الذين لا تهمهم الملحوظات العلميَّة والروايات وجعلنا ثمنهُ ١٥ فرنكاً

امَّا الشكل الثاني فتذييلهُ اطول يبلغ المائة صفحة ويحتوي على روايات كل عدد وما ورد فيهِ من الابيات في كتب الادب على ما اعتادهُ المستشرقون في طبعاتهم

الانتقاديَّة مع الملحوظات اللغويَّة والتاريخيَّة وها قد نجز ايضاً طبع هذه النسخة التي قصدنا فيها خدمة المستشرقين لتعرض في مكاتب العلماء والخزائن العموميَّة . وجعلنا ثمن هذه الطبعة الثانية ٢٥ فرنكاً الَّا الذين سبقوا فاكتتبوا على نسخة او اكثر منها . وفي الختام نتمنَّى ان يبحث ادباء الشرق على نسخة ثانية من هذه الحماسة للمقابلة ولاصلاح ما طرأ على نسخة ليدن من الشوائب . ونشكر كل من آزرنا في العمل من الرهبان اخوتنا

البرتقال : زراعتهُ وآفاتهُ

للسيو اوغست جوفروا الفرنسويّ نزيل بيروت (تابع)

﴿ هوامّ البرتقال ﴾ يتهدَّد البرتقال آفةٌ عظيمة ألا وهي عدَّة هوامّ صغيرة دقيقة لا تكاد تبصرها العين الَّا انَّها كثيرة الشرّ فتتحامل على شجره واذا تسلَّطت على أنصابها ازدادت بعد قليل حتى انَّها تشمل كل اقسامها وفروعها واوراقها وثمارها فتفتك بها فتكاً ذريعاً وتُتلفها بعد زمن وجيز ما لم يتلافوا شرَّها . وللبرتقال اعداء غير هذه الهوام كحشرات مختلفة تسري اليها وتُحِلّ بها الاضرار . وقد سبق القول انَّ تقضيب الشجرة وقطع اغصانها غير النافعة لممَّا يزيد قوَّتها على دفع تلك الهوامّ بما يدخل في اعطاف الشجرة من النور المحيي والهواء الناشف وكلاهما دواء ناجعٌ ضدّ الهوامّ والحشرات ولذلك يختار الاركيُّون لزراعة البرتقال الاماكن المكشوفة للنور والرياح كالتلال المرتفعة المعرضة للشمس اليابسة الهواء ولا يدَعون اغصانها تتكاثف ليجري بينها الهواء . وقد لحظوا انَّ المزروعات التي على هذه الشاكلة كثيرة الجدوى وافرة المحاصيل بخلاف الاشجار التي تكون في الاماكن الواطئة او الكثيرة الرطوبة على شواطئ الانهار وسواحل البحر فانَّها تكون عرضاً للآفات التي اشرنا اليها

﴿ بيان الاضرار التي تلحقها الهوامّ بالبرتقال ﴾ اضرارها على نوعين فالضرر لاوَّل انَّها تمتصّ مائيَّة الشجرة كما تسحب الطامية الماء من المعين لانَّ لهذه الهوامّ الصغيرة أجهزةً طبيعيَّة تمكّنها من الشجرة اخذها فوهتها المستطيلة التي هي كمنقار تنفذهُ في انسجة الشجرة او قشرتها او وَرقها او ثمرها فتنفث فيه نوعاً من السم الذي